سلسلة من معاجز الرسول

موسى حسين صفوان

3

الطفل المبارك



دار الولاء
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم



الكاتب: موسى حسين صفوان

رسوم: فؤاد الحسيني

تلوين وإخراج: رانيا عيسى

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

ISBN : 978-9953-546-76-6

سلسلة من معاجز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

3

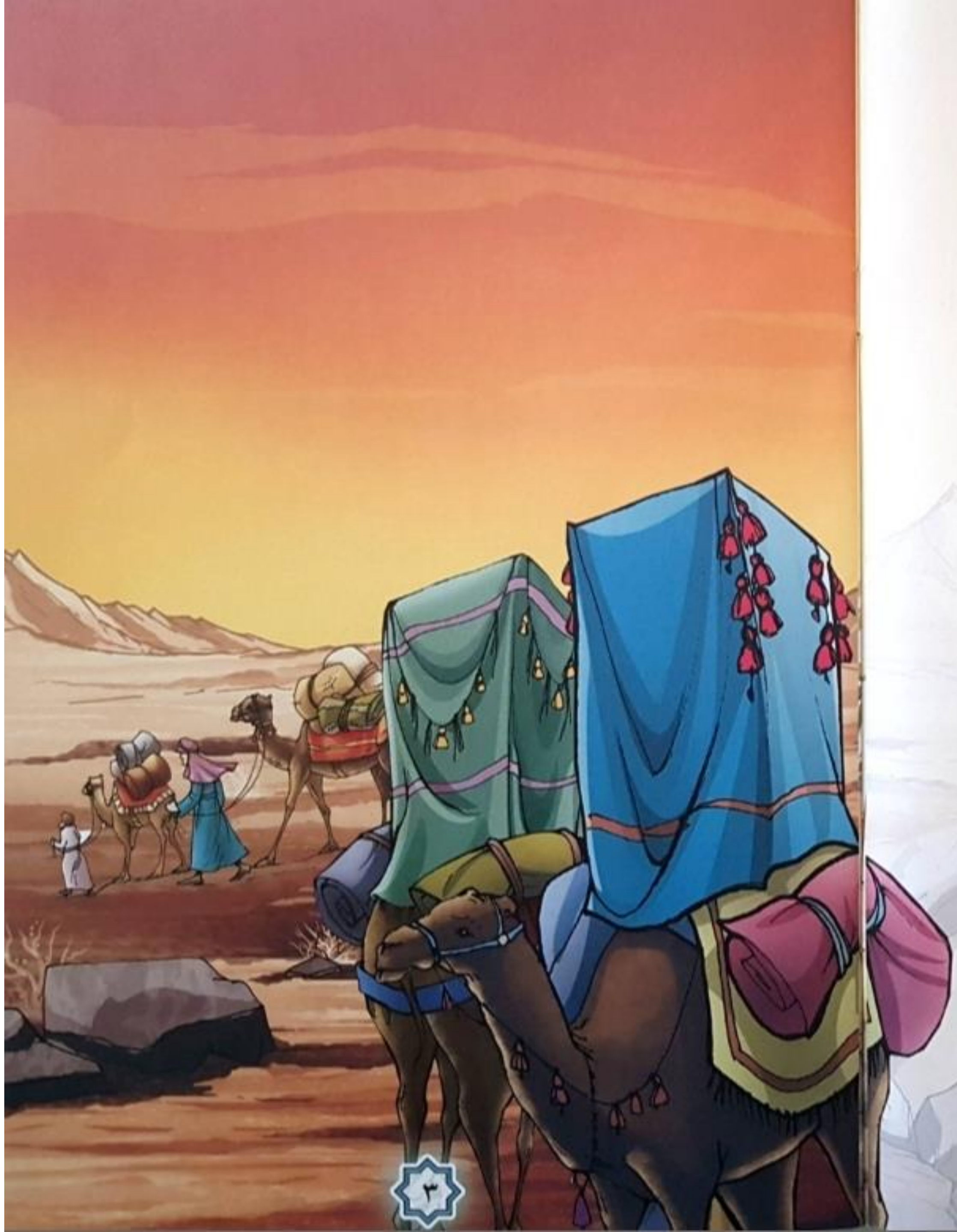
الطفل المبارك

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

رياحٌ عاصفةٌ تجتاحُ الصَّحراء، وتحملُ الرِّمال من كُثبانٍ إلى آخر... والتُّرابُ كمَا أشواكُ العَوسَجِ النَّابتةِ هُنَا وهُنَاكَ في تلكَ الصَّحراءُ القَاحِلَة، تَتَحَرَّقُ شَوقاً لِزَخَّاتِ مَطرٍ عزيزةٍ من غيمةٍ عابرَةٍ، أو قطراتِ ندَى تَجُودُ بها السَّماءُ في آخرِ اللَّيل...

من بعيدٍ قافلَة تَمشِي... بضعُ عشرةِ ناقَة تَحملُ نساءً قَدِمْن من أطرافِ البَادية، وعلى يدِ كُلِّ امرأةٍ طفلٌ رضيع... وأمامَ كلِّ ناقَة سائقٌ يقودها... إنَّهُ في أغلَبِ الأحوالِ زوجُ تلكَ الأُم المُرضِعَة... والجميعُ مُتَّجِهٌ نحوَ مَكَّة، حيثُ يطلبُ الوُجهاءُ لأبنائِهم الرضَّع مُرضعاتٍ من البَادية، ففي الباديةِ يَترعرَعُ الأطفالُ بعيداً عن ضَوضاءِ المَدينة، يتنَشَّقُونَ الهواءَ العَليل، ويُشنِّفون آذانَهم بفَصيحِ الكلامِ العَربي.



تلكَ المرأة تتأخَّر عن الرَّكب... ويبدُو أنَّها من أشدِّ هاتيكَ النِّسوةِ فَقرا، فَهيَ هَزيلةُ البَدن، ونَاقتُها نحيلةٌ مسنةٌ، أمَّا زوجُها المتمسِّكُ برسنِ النَّاقةِ فقدْ غزا الشيبُ رأسهُ ولحيتهُ، وهوَ يتهادَى في مشيتهِ، حتَّى لتخالُ أنَّه يكادُ يقعُ...

هذهِ هيَ مكَّة... ذاكَ هوَ البيتُ العتيقُ وتلكَ بيوتُ أهلِها تلتفُّ حولَ الكَعبَة... وفي تلكَ السَّاحة تجتمعُ القَوافلُ لتعرضَ ما عِندَها... إنَّه المَوسمُ، حيثُ تزدهرُ التِّجارة في أسواقِ مكَّة، كمَا يزدهرُ الشِّعرُ والأدب...





وهناكَ جماعةٌ من النَّاس يحملونَ أطفالهُم الرُّضَّع... ها قدْ وصَلت قافلةُ النِّسَاء المُرضِعَات، ومن بعيدٍ نلمحُ النِّساء ورجالهنَّ يتفاوضُونَ مع آباءِ وأُمَّهَاتِ أطفالِ مكَّة الرّضَع... ثمَّ لا تلبثُ كلُّ واحدةٍ أن تحملَ طِفلاً مع طِفْلِها، وتَستَلِم نفقتهُ من أهلهِ، وتَمضِي...

هنَا طفلٌ أبيضُ اللَّون، مشرَّبٌ بحمرةٍ تحملهُ إمرأةٌ قُرشيةٌ تسترُ وجههَا، وإلى جوارِها رجلٌ شيخٌ عظيمُ الهَامة... أما الطِّفل فهوَ محمد بنُ عبدِ الله، الذي ولدَ من أشهرٍ.



وهذا جدُّه عبد المُطَّلب والتي تحملهُ هيَ أمُّه آمِنة... ولكنَّ النُسوةُ المُرضعاتُ لا يحفلن به... إنَّهُ يتيمٌ، فقدْ تُوُفِي والدِه قبلَ أن يُولَد... وها هيَ أمُّه ترعاهُ بكفالةِ جدِّه... ولكنَّ المُرضعاتِ يرغبنَ اليومُ بأطفالٍ آباؤهُم أحياءٌ، طمعاً بالهديَّة والكَرامة...

التفتَتْ حليمةُ، تلكَ المَرأةُ الهَزيلةُ الفقيرةُ إلى زوجِهَا، وكأنَّها تندبُ حظَّها...

- يا ابن عم، لم يبقَ إمرأةٌ من صواحِبي إلا أخذَتْ صَبياً غيري... أمَّا أنَا فلمْ أحظَ بأحدٍ، فقالَ زوجُها وهو يعاتبُها:



ويحكِ يَا حَليمة... لماذا تركتِ يتيمَ عبد المُطَّلب، ألا تخافينَ أن يُعاقبنَا الله لذلك...؟

فقالَتْ وهيَ نادِمة:

طَمعتُ أنْ أحظَى بِطفلٍ آخر، يكونُ لهُ أهلٌ أثرياء... والآنَ لأرجعنَّ، والله إلى ذلكَ اليتِيم فآخذنه...

ارجِعي يا حليمة، فعسَى الله أنْ يجعلَ فيه خيراً.

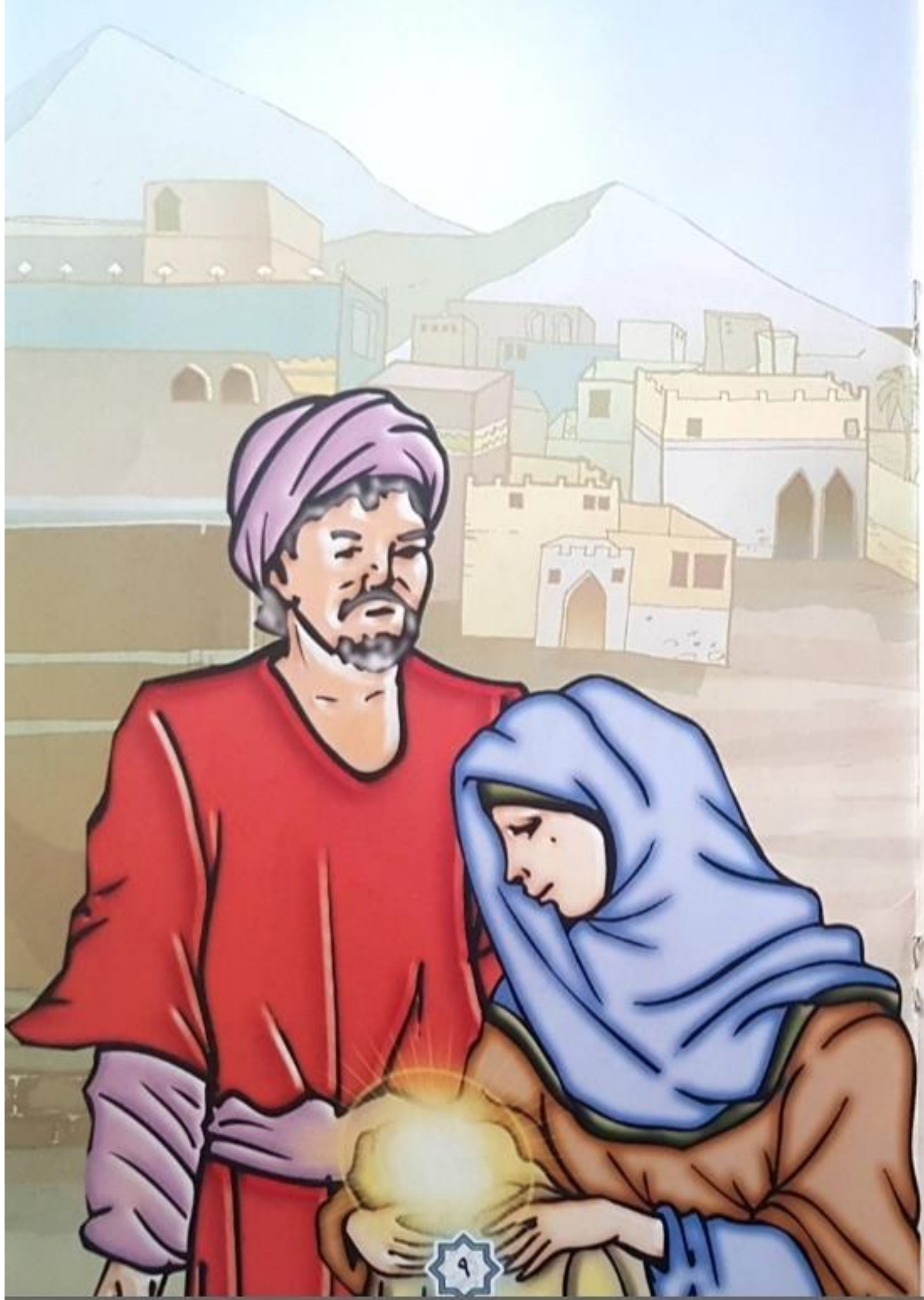
استلمت حليمةُ السَّعديةُ الطفل المُبارك، مُحمد بنُ عبدِ الله ﷺ ولَمْ تكنْ تَعلَم أنَّ الله حباهَا وأكرمَهَا بخيرِ خلقهِ وخَاتمِ رسلهِ...

منذُ لحظاتٍ كانَ طفلهَا يطلبُ اللَّبن، فلَمْ تجدُ لهُ شيئاً في ضرعِها... فقدْ أضرَّ بها الجُوع والعطشُ حتَّى جفَّتْ عُروقُها... والآنَ، ما إنْ استلمَتْ مُحمداً، حتَّى طلبَ اللَّبن... فقرَّبتهُ من صَدرِها... ويا لهَا من مُفاجَأة...

- تعالَ وانظُر... لقدْ امتلأَ ثديايَ باللَّبن...

دُهشَ الأبُ المسكينُ... وسُرعانَ ما أدركَ حقيقةَ الأمر.

فقالَ: ألمْ أقُل لكِ يا حليمة؟!! إنَّهُ ولدٌ مبارك. شربَ محمَّد ﷺ وشرِبَ أَخوه وامتلأت حليمةُ نشاطاً وعَافية... لم تَكُن تُدركُ يَوماً أنها ستكونَ على هذهِ الحَال...





وصلَتْ حليمةُ إلى منازِلِ بَني سَعد... هذا بيتُها، وتلكَ نَاقتُها المُسنَّة... يا إلهي، انظُري يا حليمةُ، إنَّ ضَرعَيها يَقطِران... وأسرعَ زوجُ حليمة إلى النَّاقةِ فإذا هي ممتَلئةٌ، فحَلبَها، وشربُوا جميعاً، حتَّى روُوا وباتوا شِباعاً...

ومرَّتِ الأيَّامُ... وتدفَّقت على تلكَ الأُسرةِ البَركاتُ... السَّماءُ أمطرت بركاتُها أكثرُ من أيِّ عامٍ مَضَى... المَراعِي الخَضْرَاءُ غَطَّت التِلالُ والوديانُ... وفي كلِّ يومٍ كانتْ أغنامُ الحيِّ تبقَى جِياعاً، فيقولُ رجالُ الحَيِّ لرِعيانِهم:

ويلكم، لمَاذا لا تَسرحُون حيثُ يسرحُ راعي حليمة؟!!



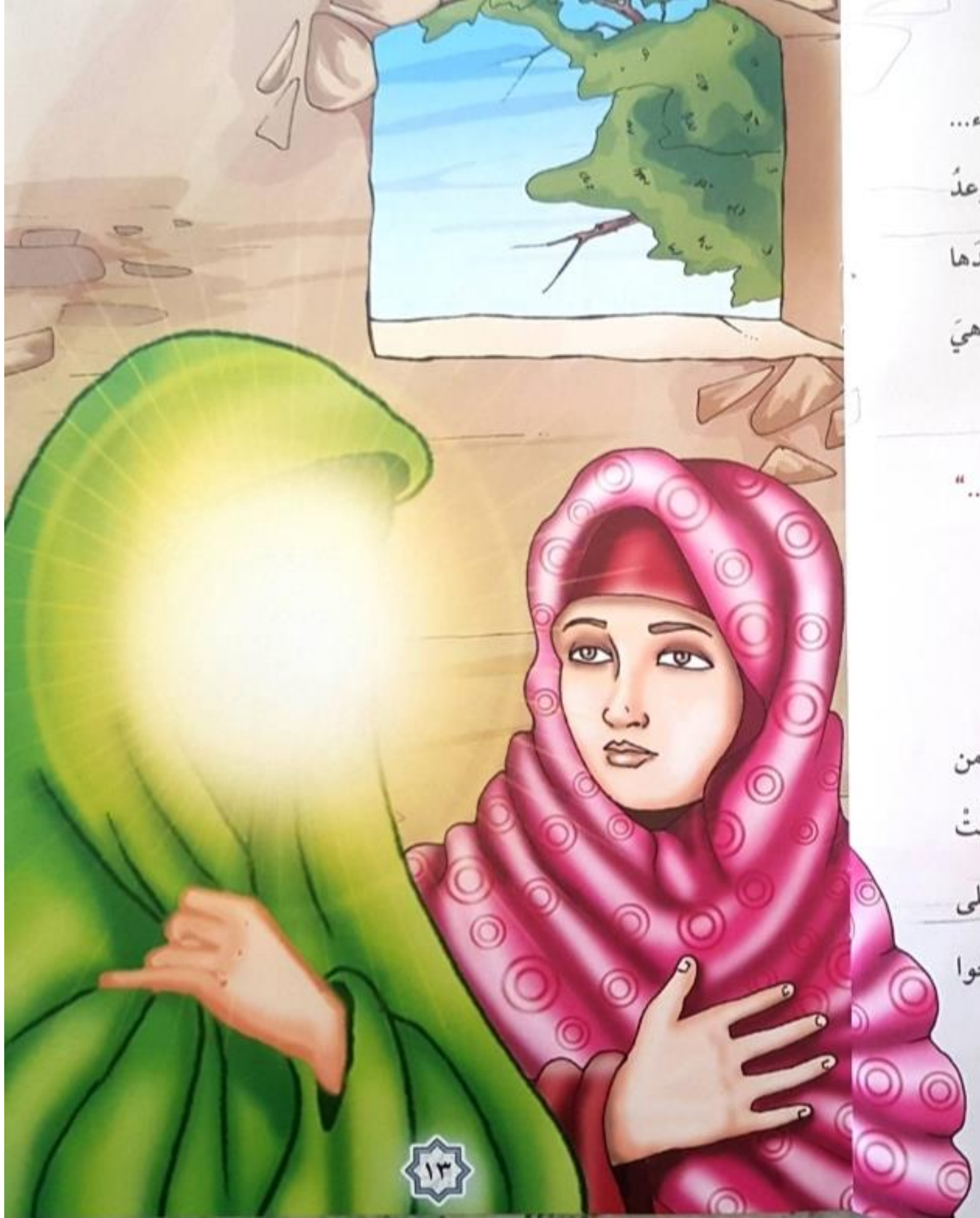
هذا هُوَ محمد ﷺ، لقد مرَّ أربع سنواتٍ وهو في الصَّحراء... ولكنْ يبدُو كمَا لو أنَّ عُمرهُ عشرَ سنواتٍ... لقدْ حانَ موعدُ الرُّجوعِ إلى مكَّة... حَليمةُ حَزينةٌ اليوم لأنَّها سوفَ تترُك ولدَها مُحمَّد ﷺ... وهي لَم ترَ أعظم بركةٍ منهُ في حياتِها، ها هيَ تتحدَّثُ إلى آمنةُ بنتُ وهبٍ قائلة:

"يا سيِّدَةَ النِّساءِ، رُدِّي علينَا ابنِي فإنَّا نخشَى عليهِ وباءَ مكَّة..."

فقالت أُمه:

"ارجعي بهِ... لا بأس عليكُن..."

فرحَت حليمةُ بمحمدٍ ﷺ فهي أسعدُ النَّاس به، لمَا رأتهُ من بركات، وبقيَ صلواتُ اللهِ عليه شهرين آخرين... وهُناك حصلَتْ لهُ معجزةُ شقِّ الصَّدر، فقدْ روَوا إنَّ ملائكةٍ نَزلُوا من السَّماءِ على مُحمد ﷺ حيثُ كانَ في البرِّية فشَقُّوا صدرهُ الشَّريف وأخرجُوا منهُ علقةٍ سوداء ثُم صعدُوا...



خافَت حليمةُ على مُحمد ﷺ أنْ يُصيبهُ مَكروه، فردَّتهُ إلى أُمِّهِ آمنة... ومرَّت الأيامُ، خَمسونَ سنةً ونيف...

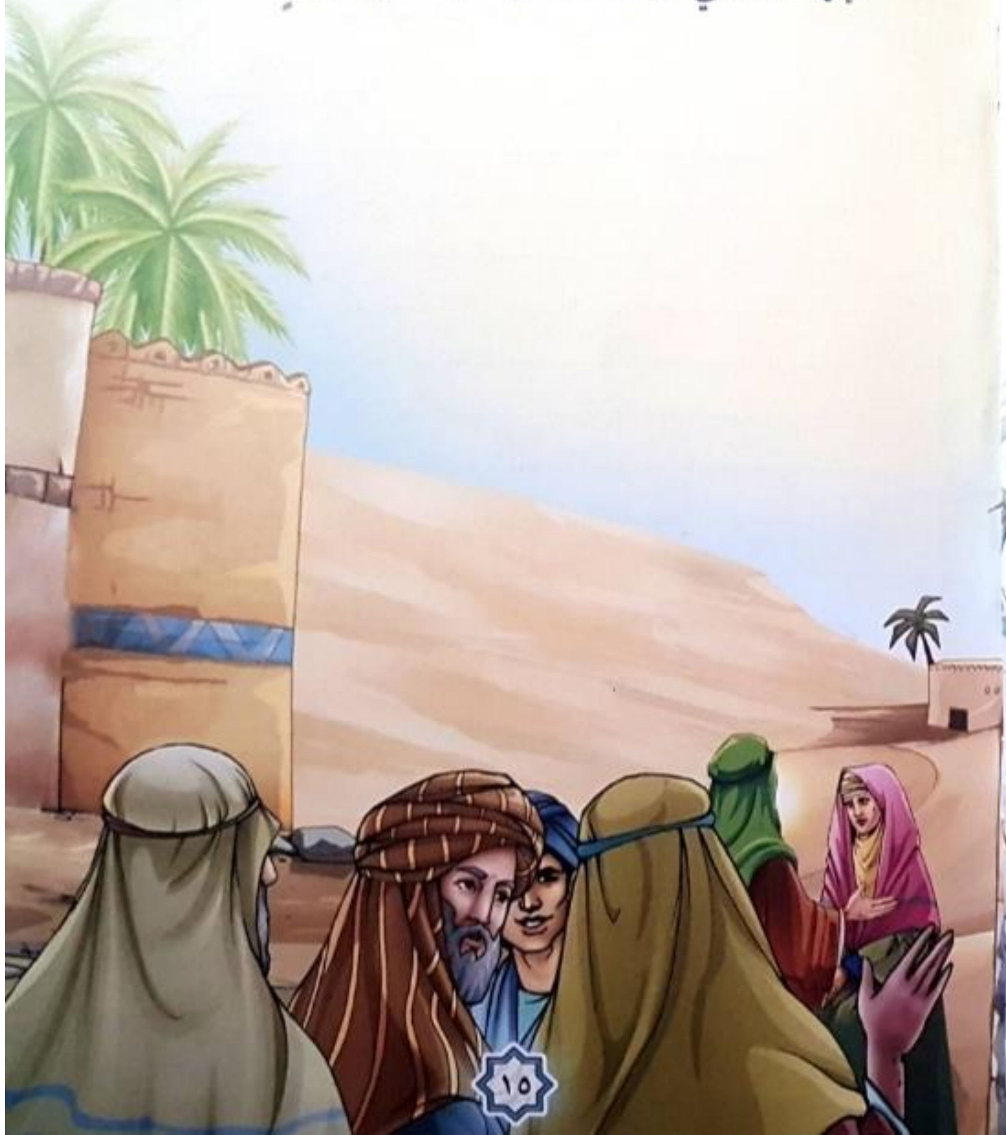
كانَ رسول الله ﷺ في المدينةِ المُنوَّرة. وجاءت إمرأةٌ عَجوز، أقبلَتْ نَحوه، فأقبلَ نحوها... وبسطَ لهَا رداءَهُ وأجلَسَها عليهِ، وجعلَ يهتم بها... فقالَ الحاضِرون:

- من هذهِ يا تُرى؟!!

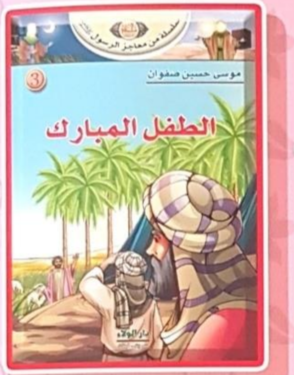


فأجابَ بعضُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فقالوا:

إنَّها أمهُ التي أرضعته، حليمةُ بنتُ أبو ذؤيبِ السَّعدية...



سلسلة من معاجز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 3



سألتني عنْ مُعجزاتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

كلُّ حياتهِ المُباركةِ كانت مُعجزاتٌ باهراتٌ...

وأوّلُ تلكَ المُعجزاتِ بِشاراتُ الأنبياء.

فقدْ جاءَ في التَّوراةِ ذكرهُ المُباركُ، وجاءَ

في الأنجيلُ ذِكرهُ أيضاً...

فهوَ دعوةُ خليلِ اللهِ إبراهيم (عليه السلام)

ووصيَّةُ كليمِ اللهِ مُوسى (عليه السلام) وبشارةُ

روحِ اللهِ عِيسى بنْ مَريَم (عليهما السلام).

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

ISBN 9953-546-76-6
9 789953 546766